الوجدان في شعر ادريس الشعراني

م.د. معتز ناطق نايف مجيد

المديرية العامة للتربية في محافظة صلاح الدين

Muaatazmtek0@gmail.com

تاريخ الاستلام : ٢٠٢٢/٧/٢٠

تاريخ القبول : ٢٠٢٢/٩/١١

الملخص :

يعد الوجدان من الموضوعات المهمة ،على صعيد التطوير والتجديد في بنية النص الشعري ، لما يحمله من تعبير عن ذات الشاعر، والمجتمع فهو اللسان الصادق لما يختلج الانفس ،وتعبير ممغنط بنغم موسيقي ايحائي دلالي، والوجدان في نفس ادريس الشعراني، كان يعج بتنوعاته التي فرضتها الحياة المضطربة ،بكل متغيراتها ، فعمد إلى استثمار القوة التي يجسدها ،ويعبر بها وجدانه وكيانه من اجل اثراء النصوص بالتضاد، والتناقض والحركة والمشاعر الجياشة .

Summary:

The conscience is one of the important topics on a commercial level, commercial development and renewal in the structure of the poetic text, because of what it carries of the expression of the connection between the poet and society, the honest tongue of what stirs the souls, and the expression of a magnetic,

musical, suggestive, semantic expression. Investing in the power that he embodies and expresses his conscience and his being in order to enrich the texts with contradiction, contradiction, movement and intense feelings.

الوجدان في شعر ادريس الشعراني

تقديم :

ان الشعر الوجداني أو الذاتي خير من عبر عنه الشعراء لوصف ،ورصف احاسيسهم وعواطفهم ومعاناتهم ، لذلك آثرنا دراسة أحد هؤلاء الشعراء، في الشعر الحديث وهو (ادريس الشعراني)[١] والمتأمل للوجدانية لدى الشعراء هي "تعبير عن احوال يعانيها الشاعر فعلاً لأنها مرتبطة بذاته الخاصة ، كحبه لامرأة علق بها أو بكائه لولد افتقده أو حنينه لوطن نزح عنه ، فالشاعر الوجداني يكون هو الذات والموضوع ، أي انه يخضع الاشياء لفهمه الذاتي وللحظة التي يعانيها"[٢] فهو في تعبير ادق التعبير عما يجول في النفس، والاحساس به في ذاته وبيئته مع الميل إلى السبح مع الخيال ، في لغة تتناول مفرداتها من بيئته الضيقة ،في تعابير مألوفة للبيئة وللزمان ، فالشاعر يستوحي شعرهُ من الحياة ،ويستلم الذات الانسانية وانفعالاتها ،مضمناً هذا الشعر الشحنات ،الوجدانية الجياشة[٣] والمتأمل لقصائد ادريس الشعراني سيجدها، تعبير عن خلجات وذات مفعمة بالخيال، والتعبير إذ تنوعت بين النفحة الشعرية ،الثورية حيناً والحزينة حيناً آخر ،وهي ترصد انطلاقاً من الاسترجاع سعيها الحثيث نحو ،حلم كبير يصادر البغي والظلم ، فقصائده تواقة إلى الحرية ،والانعتاق مناجية الزمن ليعيد بعض حقائقه ،التي وضعها وعدم التنكر للأصول وللروح الخالدة ،فلابد للشعر ان يحمل رسالة نحو مجتمعه ؛ فالشاعر يبوح ما يجول في نفسه ،ومجتمعه يهدف من خلالها تصوير، واقع مجتمعهِ ، وعكس احواله ونقلها نقلاً صحيحاً صادقاً فـ "الشعر الذي لا يحمل

رسالة ولا يخدم هدفاً اجتماعياً ، يصبح نوعاً من الاصوات المجردة التي قد تكون جميلة ، وربما مفيدة في الظروف السوية للمجتمعات المتقدمة "[٤] والإحساس حين يتوطن الانفس يجعل الصورة ، قادرة على جذب الادراك ويمنح النفس الاستقلالية ،والجمالية التي تتمثل بشكلها ولونها ،وايحاءاتها ومن ثم خصوصيتها التي رسمها الشاعر، والتقطها الهواة والمتذوقين رغبة وحباً ،وشوقاً لسماعها ومن هذا قول الشاعر :

في قصيدة بيان الشهداء[٥]

"انـــا الشروق

انـــا الحريق

انـــا الحقوق

انـــا الطريق

انا الشروق في غلس الدجى

انا الحريق في ذاكرة الـــمزاة

انا الحقوق في بريق السنى

انا الطريق للحفاة العراة

انـــا المحاصر المجهد

انـــــا المصاب المعبد

انـــــــا المقتاد فجراً

انـــــــا المغتال غدراً"

انا المتأمل لعنوان القصيدة يدخل القارئ، نحو مضامين نصوص كتبت بحرقة كبيرة ،تلخص فداحة الفقد والحزن وتترجم الرغبة ،إلى رفض الجاهز من الافكار والاقوال الخادعة، التي تكرس الاستعباد والاقصاء ، كما ان في النص نلمس حضوراً للغة الشعرية ،المليئة بالاستعارات القوبية التي تحمل معانيها دلالات ،وصور مكثفة وهي تفتح ابواب الروح لترغم ،الذاكرة على حبس نبض الحلم حيث تبدأ، رحلة البحث عن الاسباب ، كما ان توالي (الانا) في النص عكس صورة الشاعر، وتغنيه بذاته بأن استعار لنفسهِ صورة حزينة ،فهو ابن للحرب ورثها ونشأ معها ،حتى غدا كهلاً ، كما عمد إلى ان يكون صوت الجماعة ،وصوت كل من يشعر بمشاعره ،ويمثل فاعلية وعي (الانا) في نظرتها المثالية للأرض ، عبر أنسنتها والدخول معها في صراع ازلي ،يؤسطر الواقع أو يخلق اسطورتهِ الخاصة وذلك عبر توالي المقاطع (انا الشروق ، انا الطريق للحفاة العراة ، انا المحاصر المجهد ، انا الطريق) .

فجاءت القصيدة اشبه بالاعترافات الشخصية ،العاكسة لحياة الشاعر والمجتمع ،المريرة التي اكتوى نيرانها فعبرت ،عن معاناتهِ وآلامه واحزانه وكانت "بمثابة فضاء شعري يعاد فيه انتاج انا الشاعر أي سيرتهُ الذاتية من خلال انا المتكلم "[٦].

وفي نص شعري آخر يقول[٧] :

"حرري لي جناحـــــي
لأطير
مع أول سرب قـــادم
من شمس

لأعانق زمني المنفلت

بين اليدين"

أن نزعة التحرر والرغبة التي تحاول الذات الشاعرة، للتعبير عنها تشكل صورة فعلية عن هذه المعاناة ،وتبين لنا الشكوى واغتراباً نفسياً اكثر ،من اغتراب الوطن والمكان ، وانما اغتراب مؤلم فاتك للذات ، اغتراب زمني بين واقع مرير، وماض جميل فصارت هذه الذات مخدرة كمريض ،ينظر طبيباً ، فهذا الصراع النفسي الذي يجسده الشاعر، ليصف قيوده التي تكبله ،ويتمنى ان يستبدلها بجناحين ،وكأن في هذين الجناحين ضالتهُ التي تأتي كحافزاً، ومثيراً لانطلاق الشاعر، والتحليق بأفكاره وآمالهِ ،وهو الامر الذي يشد المتلقي إلى ذات الشاعر، وشاعريته ، لينفذ منه إلى ما وراء النص ، ومما لا شك فيه أن "النص الجيد هو النص المحرك والباعث على التأمل والنظر"(٨).

وهذا ما عمد الشاعر إليه في نص آخر، عندما صور لنا كلام الشهيد ،ووصيته للأرض والاهل وفيها يقول :

"ارجوكم لا ترثونـــي

فبأعينكم أرى الخلود

من دموعكم فجروا نهرا

يجوب الارض

يسقي الارض

يعيق الســـــنابل"(٩)

يسعى الشاعر هنا ، وراء الخلود ، خلود الثناء والذكر الطيب – بعد الموت – فالشهادة التي ،اشار إليها الشاعر بشكل مرمز ، هو الوحيد الذي يحرص على بقاء الثناء ،في سبيل الارض والوطن ، وإذا تأملنا النص فأنه يحتوي الفاظ ،وعبارات ذات دلالات نفسية ،واجتماعية مؤثرة في ذات الشاعر فـ" إن الطريقة الوحيدة للتعبير عن العاطفة في شكل فني هي ايجاد سلسلة من الاحداث ستشكل الصيغة الحاملة لتلك العاطفة بالذات ، بحيث أن تلك العاطفة ستثار فوراً حين تعطي الحقائق الخارجية التي ينبغي ان تنتهي في التجربة الحسية" [١٠] .

الكون مليء بالتناقضات والتجاذبات ،فأختلت الموازين كما في قول الشاعر :

"الشر يتهمني بالشر
الظلم بلباس البَّر
والجلاد من الاخبار
العدوان دفاعٌ
والمقاومة جرمٌ
لا يستحقه الاستعمار
يا لسخرية الايام
يدي المشلولة تصفعني
بمخالبها تحفر قبري
على رجمها كتب الدهر"[١١]

يفتح الشاعر نصه بقوله (الشر يتهمني بالشر) وكأننا نتطلع إلى نص كأن الحياة فيه ،حياة غاب البقاء للأقوى ، فمنها انطلق بناءه الفني ،بصورة حية مرمزة إذ جعل من سخرية، الايام وصفاً لواقعنا ، فأكتنز النص بصورة متعددة تتابع ،سردياً ووصفياً للبوح بتجاربه العقلية والوجدانية ليصل إلى ذروة النص وختامهُ بقولهِ (على رجمها كتب الدهر) فالشر جسده الشاعر ووضعه في مشهد درامي يحتفي بالمتناقضات والصور السريالية التي تدخل ضمن الرؤى الذهنية الكابوسية بقوله (الظلم بلباس البر ، الجلاد من الاخيار ، العدوان دفاع) هذا التنوع في الحركة الدرامية ، المحتدمة امتد من البداية إلى نهاية النص الشعري، ليولد رؤية متكاملة للمتلقي ؛ فالصورة الجيدة هي التي لا تعبر عن المضمون طرحه ،ومباشرة بل توحي له لكي يعمل المتلقي فكرة تستدعي معانيها وقد يكون اصوات متعددة وشخوص متعددين(١٢).

يعكس الحوار نفسية الشاعر، الذي يعمل على افتراض ،وجود شخصية تحاورهُ من خلال عقد محاورة تبرز فيها افكار وهواجس الواقع كما في قوله :

"حوار حضاري
حدثني افلاطون عن مدينته
واسهب في الاطراء
حتى كدت اراها فاضلة
سألت افلاطون عن الطبقات
فتح صحيفاً
واراني تقسيماً إلى طبقتين
فصحت

والحرفيون يا افلاطون

اجاب مستخفاً

لا فرق بين

عبدٍ واجير

كلاهما يخدم الاسياد

من قريب أو من بعيد"[١٣]

يسرد الشاعر هنا قصة كاملة ،عبَّر فيها بصورة متتابعة الحوار الخيالي، الذي دار بينه وبين افلاطون ، واخذ يسرد على لسان افلاطون ،ويصف لنا اهمية المدينة الافلاطونية بتقسيمها ،وعدلها في اشارة واضحة وصريحة يختمها في نهاية النص ،الشعري بأن الجميع خدم للاسياد ، ففيها يفصح عن ذاته بغياب الفضل والعدل، بتقسيمها إلى طبقات ، فالأنساق الدرامية ،واستحضار شخصية افلاطون حققت للحدث، نحوهُ وازدهاره في بناء يبين وعي الشاعر، بأهمية هذه التقانة في تعميق درامية النص ، فالعلاقة الحوارية المباشرة تعمق، درامية النص حتى وان كانت ،المساحة اللسانية للحوار قصيرة[١٤].

وقوله ايضاً :

"سألت افلاطون

عن الجوع

قهقه وقال :

من انتاج العبيد

يقتات الاسياد

من فتات الاسياد

يقتات العبيد

لا مكان للجوع

في مدينتي "[١٥]

تنمو معالم هذه المأساة الدرامية وذلك بتصوير فضاءات الحكي المتخيلة للواقعية ، إذ لا يخلو هذا المشهد الشعري من مفارقة تصويرية تزيد من حدة التوتر عبر قوله (من انتاج العبيد / يقتات الاسايد ، ليعكس المشهد بطريقة اخرى ليكمل ويقول من فتات الاسياد يقتات العبيد) ليختم النص بعدالة مدينة افلاطون ليقول (لا مكان للجوع في مدينتي) هذا السؤال الذي وصف حال المدينة ، إذ عمل الشاعر على تجسيد ابعاد رؤيوية في صورة اشخاص تتصارع وتتحاور ومن خلالها ينمو بناء القصيدة وتبرز دراميتها[١٦] كما ان هذا التضاد الذي رسمهُ الشاعر في هذه اللوحة يبين طبقتين (الاسياد والعبيد) كشف عن معاناته وشكواه الصارخة.

وقوله ايضاً :

"علمني الزمن

ان الأمل خارج

السراب

ان الشرق غرب

وان الغرب ثعلب

وغراب

علمني الزمن

إلا ثقة في

الوسائط

فالسجن بلا حدود

يتسع كل

الخرائِط[١٧] "

ان وصف الشعراني للشرق غرب، والغرب ثعلب وغراب ، لم يأتي من فراغ بل جاء ،من خيبات أمل كثيرة مرت به ،وببلاده فهذا الظلم الاجتماعي والسياسي .الذي ينهب على الفرد مع كل صباح، فلا يعرف الشاعر من اين يأتيه القهر ، هو أقوى منه واشد قهراً ، يضاعف حدة التوتر، ويضاعف غربة الانسان وهي نتيجة التعسف وسلب الحقوق[١٨] فمطلع النص الشعري (علمني الزمن) كأنها محاولة تهوين ما تعيشه الذات ،بغية تجاوزه غير انها تكشف في بقية النص ،عن ذات متهاوية ، فثمة احساس واضح بالضياع ،وعدم الثقة.

وبقي هذا الاضطراب في المشاعر، حتى آخر مجموعته الشعرية ومنه قوله :

"ارجوك ... اقتربي

وكسري قدسية قيودي

ارجوك....اصطبري

تحملي ...

مدي يديك النحاسيتين

وانتشلي من ألواني

الزائفة

لا تتركيني

عدو نفسي

خذيني

من معصمي[١٩] "

وكذلك قوله :

"طال النوى

كما طال النوى

بيني وبين جناح

الطير

كم اضناني الجوى

في البحث عن زمن

انفلت بين اليدين

ايامي

رثاها ابو الورى

كنا سنحت فيها

اللواحس

وتشعر في وجهي[٢٠] "

الخاتمة :

المتأمل لشعر الشاعر الشعراني ، يتبين له أن حياته العامة ؛والخاصة لها تأثير واضح وبصمة في اشعاره ، فجعلته في حراك دائم ،وتعبير لكل ما يجول حوله من تجاذب ،اطراف الخير والشر ، الجمال والقبح ، الايجابية والسلبية ، الفقر والغنى ، الفقير والغني ، ليجعل من الامل المنشود والسياج الذي يسيج به افكاره ، وتطلعاته ويعيش مكبل بقيودها حتى تحقيق الحلم .

الهوامش

(١) تعريف بالشاعر: من مواليد ١٩٥٢ بمدينة ابي الجعد بالمغرب ، استاذ للرياضيات ، متقاعد ، عضو اتحاد كتاب المغرب ، مؤسس ورئيس نادي اوراق ادبية بالدار البيضاء ، مؤلف مجموعته الشعرية (اوراق على ضفاف الخاطر) ، صدرت ٢٠٠٤.

(٢) نماذج من النقد الادبي : ٨٨٢.

(٣) النقد الادبي الحديث : ٣٩١.

(٤) الادب وفنونه : ٤٥.

(٥) اوراق على ضفاف الخاطر : ٩.

(٦) كل الطرق تؤدي إلى الشعر : ٦٩.

(٧) اوراق على ضفاف الخاطر : ١٣.

(٨) استقبال النص عند العرب : ١٨٣.

(٩) اوراق على ضفاف الخاطر : ١٥.

(١٠) هاملت .ت.ساليوت : ٣٥.

(١١) اوراق على ضفاف الخاطر : ١٨.

(١٢) سيكولوجية الصورة الشعرية في الشعر الصوفي : ٦٥.

(١٣) اوراق على ضفاف الخاطر : ٣٧.

(١٤) الحوار الخارجي المباشر في الشعر العراقي جيل الستينات انموذجاً : ٣١٥.

(١٥) اوراق على ضفاف الخاطر : ٢٥.

(١٦) اوراق على ضفاف الخاطر : ٥٦.

(١٧) اوراق على ضفاف الخاطر : ٢٩.

(١٨) في قضايا الشعر المعاصر : ١٠٠.

(١٩) اوراق على ضفاف الخاطر : ٣٨.

(٢٠) اوراق على ضفاف الخاطر : ٤٠.

المصادر

١-نماذج في النقد الادبي ، ايليا الحاوي ، ط٣ ، دار الكتاب ، بيروت.

٢-النقد الادبي الحديث ، محمد غنيمي ، نهضة مصر للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٩٩١.

٣-الادب وفنونه ، محمد مندور ، نهضة مصر ، ط٥ ، ٢٠٠٦م.

٤-اوراق على ضفاف الخاطر ، ادريس الشعراني ، ط١ ، ٢٠٠٢م.

٥-استقبال النص عند العرب ، محمد مبارك ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٩م.

٦-هاملت .ت.ساليوت ، مجلة العهد ، ٤٨٤ ، ١٩٨٠م.

الرابط http://stringfixer.com .

٧- سيكولوجية الصورة الشعرية في الشعر الصوفي ، ياسين عبيد انموذجاً ، عبدالرحمن غني ، رسالة ماجستير ، جامعة الشهيد حمه خضر ، الاداب ، اللغة العربية ، ٢٠١٧م.

٨- الحوار الخارجي المباشر في الشعر العراقي ، جيل الستينات انموذجاً ، د.ليلى طلال الحمد ، مجلة كلية الاداب ، جامعة تكريت ، ع٣ ، ٢٠١٩م.

٩- القصيدة الطويلة في الشعر العربي المعاصر ، احمد زهير ، دار الحامد للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن ، ط١ ، ٢٠١٢م.

١٠- قضايا الشعر المعاصر ، عزالدين اسماعيل ، تونس ، ١٩٨٨م.